من طرائف الشعر

الوادي

لصوت الطبيعة الصارخ ألفونس دي لامارتين

للشاعر الدمشقي أنور العطار

« إلى التي علمتني الحب وعلمتني الألم ، وجعلت من حياتي مشابه لحياة هذا الشاعر، في خيبة الحب ، وحرقة القلب ، ومشجي النغم ، ومذيب الألم ! »

إيهِ وَادي الصَّباءِ والأَحْلامِ ... إيهِ مَهْوَى الإيحاءِ والإلهامِ
هَبْ لِضَعْفِي مَلاذَ يَوْمٍ قصيرٍ ... أَتَرَقَّبْ فيهِ دُنُوَّ حِمامي
لم يَعُدْ قَلْبيَ السَّئُومُ المُعَنَّى ... يَرْتَجي مِنْ عَمايةِ الأَيَّامِ
أَنْ تُعيدَ المُنَى إليهِ عِذاباً ... مُغْرِياتٍ بِنَغْرِها البَسَّامِ

***

هُوَ ذا المسلكُ الذي ضاقَ ذَرْعاً ... في ثَنايَا الوَادِي المُضِبِّ النَّوَاحي
تَتَدَلَّى الغَابَاتُ حَوْلَ حِفَافَيْـ ... ـهِ وَتَبْدُو مُلْتَفَّةَ الأَدْوَاحِ
بَاعِثَاتٍ إِلَى جَبِينِيَ فَيْئاً ... مِنْ غُصُونٍ تَمِيدُ بِالأَفْرَاحِ
غَامِرَاتٍ سَاحَ الفُؤَادِ سَلَاماً ... مُغْصِيَاتٍ عَنِّي شَجَا الأَتْرَاحِ

***

هَاهُمَا جَدْوَلَانِ في قَاعِ البُعْـ ... ـدِ اسْتَسَرَّا فِي مَسْرَبِ الأَعْشَابِ
رَسَمَا فِي المَسِيرِ مُنْعَطَفَ الهَضْـ ... ـبِ وَمَسْرَى الرُّبَا وَمَنْحَنَى السِّعَابِ
مَزَجَا فِي هُنَيْهَةٍ نَاغِمَ المَا ... ءِ بِمَزْجٍ كَالهَادِرِ الصَّخَّابِ
ثُمَّ غَابَا عَنِ العُيُونِ وَضَاعَا ... فِي قَصِيٍّ لِلدَّوْحِ وَخَافِي الرِّحَابِ

***

وَلَكَالجَدْوَلَيْنِ فِي النَّهْدِ فَاضَ ... تَبْعِي وَلَجَّ فِي التَّسْيَارِ
ثُمَّ وَلَّى وَلَيْسَ صَوْتٌ وَلا اسْمٌ ... أَوْ مَعَادٌ إِلَى حِمَى التَّذْكَارِ
فيهما المَاءُ قَدْ تَرَامَى نَقِيًّا ... مُشْرِقَ السَّكْبِ مِثْلَ شَمْسِ النَّهَارِ
غيرَ أَنِّي ، وَالهَفَ نَفْسِي ، كَئِيبٌ ... وَمِيَاهِي مُرْبِدَةُ الأَنْوَارِ

***

فِي ضِفَافٍ مِنَ الجَدَاوِلِ غَرْقَى ... فِي دُمُوعِ النَّدَى وَسَجْوِ الظِّلَالِ
كُنْتُ أَقْضِي سَحَابَةَ اليَوْمِ مَعْلُو ... لاً بِقَيْدٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ غَالِ
وَعَلَى هَادِرِ المِيَاهِ تَغُطُّ النَّـ ... ـفْسُ فِي حُلْمِهَا البَعِيدِ المَجَالِ
مِثْلَ طِفْلٍ أَغْفَى عَلَى نَغَمِ حُلْـ ... ـوٍ نَمِيسٍ فِي زَاهِرِ الآمَالِ

***

آهِ ! هَلْ لِي إِلَى هُنَاكَ مَعَادٌ ... حَيْثُ أَفْنَى فِي زَاخِرِ الأَمْوَاجِ
إِنَّ عَيْنِي تَهْفُو إِلَى ذَلِكَ الأُفْـ ... ـقِ وَنَهْوَى تَزَاحُمَ الأَحْرَاجِ
لَيْتَنِي فِي حِمَى الطَّبِيعَةِ أَبْقَى ... سَادِراً فِي بِقَاعِهَا وَالفِجَاجِ
ثُمَّ أَرْنُو إِلَى السَّمَوَاتِ مِفْرَا ... حاً أُصَلِّي فِي ذَهْلَتِي وَأُنَاجِي

***

كَمْ تَعَشَّقْتُ فِي حَيَاتِي وَكَمْ زُرْ ... تُ عَيْنِي مَرْأَى ، وَقَلْبِي شُعُورَا
غَيْرَ أَنِّي رَجَمْتُ أَدْرَاجَ ذَاكَ الْـ ... ـمَيْشِ أَبْغِي إِلَى الهُدُوءِ مَصِيرَا
يَا مَطَافَ الجَمَالِ بِاللهِ كُنْ لِي ... شَاطِئاً لِلسُّلُوِّ يَوْماً قَصِيرَا
لَيْسَ غَيْرُ النِّسْيَانِ يَمْلَأُ نَفْسِي ... أَمَلاً وَاسِعاً وَصَبْراً غَزِيرَا

***

إِنَّ نَفْسِي فِي هَدْأَةٍ وَفُؤَادِي ... فِي ارْتِيَاحٍ يَفُوقُ كُلَّ ارْتِيَاحِ
لَمْ يُعَكِّرْ صَفَاءَهُ الأَلَمُ المُرُّ (م) وَمَا فِي حِمَاهُ مِنْ أَتْرَاحِ
وَالضَّجِيجُ القَصِيُّ لِلْكَوْنِ يَفْنَى ... كَفَنَاءِ الأَشْبَاحِ فِي الأَشْبَاحِ
مِثْلَمَا يُضْعِفُ المَدَى الصَّوْتَ فِي الأُذْ ... نِ تَمَشَّتْ بِهِ مُتُونُ الرِّيَاحِ

***

قَدْ رَأَيْتُ الحَيَاةَ بَيْنَ الغُيُومِ ... تَتَوَارَى فِي الغَابِرِ المَوْهُومِ
وَيَضِيعُ البَرِيقُ مِنْهَا وَيَخْفَى ... خَلْفَ سِتْرٍ مِنَ الزَّمَانِ القَدِيمِ
غَيْرَ بَاقٍ مِنْهَا سِوَى الحُبِّ يَبْدُو ... فِي إِطَارٍ مِنَ الخَيَالِ عَظِيمِ
وَحْدَهُ ثَابِتٌ لَدُنْ قَدْ أَفَاقَ الـ ... ـقَلْبُ مِنْ حُلْمِهِ العَمِيقِ الهُمُومِ

***

إِيهِ نَفْسِي قِفِي عَلَى المَلْجَإِ البا ... قِي وَلُوذِي بِهِ لِكَيْ تَسْتَرِيحِي

مثلمـا يجلسُ المسافرُ والقا ... بُ مَلِيٌّ مِنَ المرامِ المُرِيحِ
هادئُ البـالِ قَدْ تَهَنَّا لمَّا ... بَلَغَ القَصْدَ بَعْدَ سَيْرٍ طَلِيحِ
راح يَسْتَنْشِقُ الهواءَ نقيًّا ... فى مَساءٍ بالنَّافِحَاتِ طفُوحِ

***

مِثْلُهُ فلْنُثِرْ غُبَارَ خُطانا ... مالنا رجعةٌ إلى ذى الطَّرِيقِ
مِثْلُهُ فَلْنَشِمَّ فى غايةِ العُمْـ ... ـرِ أريجًا مِنَ الصَّفاءِ العميقِ
حُلُمٌ عَيْشُنا يَمُرُّ ويَمْضِى ... غيرَ حُلْوِ الرُّؤَى وغيرَ أنيقِ
مابِهِ جِدَّةٌ يَرِفُّ سناها ... وهو عُمْرٌ بِكُلِّ رَنٍّ عتيقِ

***

إنَّ أيَّامَكِ القِصَارَ العَبُوسَا ... تِ كمِثْلِ الخريفِ فى الإجْهَامِ
تَنْطوِى مِثْلَما يُغَيِّبُ ظِلٌّ ... فى ثنايا الهضابِ والآكامِ
ثُمَّ تَرْوِى عنكِ الصداقةُ والعط ... فُ يُوَلِّى مُوَشَّحًا بظلامِ
فى طريقِ القُبُورِ تَهْوِينَ حَسْرَى ... وتضيعين فى سجونِ القَتَامِ

***

بيدَ أن الطبيعة الرحبةَ القا ... بِ تُنَاديكِ فى حنانٍ عظيمِ
فَاغْمِسى روحكِ اللهِيفَةَ فيها ... فهْىَ أحْنَى مِنْ كلِّ قلبٍ رؤومِ
فإذا ما ضجرْتِ مِنْ عالمِ البغْـ ... ـضِ وما فى مطافِهِ مِنْ هُمُومِ
فارجعى القَهْقَرَى إليها ترَىْ عا ... لَمَ حُبٍّ قد ضَمَّ كلَّ مرومِ

***

فهْىَ توليكِ ظِلَّهَا وسناها ... وتُصَفِّى مِنَ الأثامِ هواكِ
أنْصِتِى للصَّدَى العَمِيقِ «فيبتا ... غور» قد تامهُ صدَى الأملاكِ
فاعبُدِيهِ وقدِّسِيهِ طويلاً ... إن فيهِ ما تَشْتَهِيهِ مُنَاكِ
أرْهِفِى أُذْنَكِ اللَّطِيفَةَ تَسْمَعْ ... فى سَمَاهَا نشائدَ الأفلاكِ

***

اتْبَعِى النُّورَ فى السَّمَاءِ وَمَاشِى الـ ... ـظِلَّ فى الأرْضِ وَامْرَحِى فى الوِهَادِ
واصْعَدِى فى رُبَا النَّسِيمِ مع الرِّيـ ... ـحِ التى لا تَعِى مِنَ الإنْشَادِ
وَامْلِئِى الغَابَ فَرْحَةً وَالسَّوَاقِى ... وَاسْرَحِى طَلْقَةً مِنَ الأصْفَادِ
خاصِرِى ذلكَ الشُّعَاعَ السماوىَّ (م) وَهِيًّا ارْقُصِى بِظِلِّ الوَادِى

***

فَتَحَ اللهُ بالذَّكاءِ بَنِى الأرْ ... ضِ لكى يهتدُوا إلىٰ مُوحِيهِ
وَيُنَاجُوهُ ضَارِعِينَ إليهِ ... لم يخِبْ قطُّ فى الدُّنَا رَاجِيهِ
إنَّ صَوْتًا يُخَاطِبُ الرُّوحَ حُلْوًا ... وَهْىَ غَرْقَى فى صَمْتِهَا والتِّيهِ
آهِ مَنْ لم يَسْمَعْ نِداءً خفِيًّا ... هُوَ فى قَلْبِهِ صَدَىٰ مُلْقِيهِ

دمشق

أنور العطار
من المجمع الأدبى

حنين الى نخلة

يا نخلةً فى أعالى النهر باسقةً ... قلبى إليك يذوب اليوم تحنانا
هلا تزالين مثل الأمس وارفة ... ولم يزل سعفك المخضر ريانا ؟
تشدو القمارى فيه بكرةً وضحىً ... ويهجع البلبل الغريد سكرانا
والنهر تحتك يجرى باسماً طلقاً ... والموج يغدو ويجر الذيل خجلانا
والفلك دونك تسرى وهى حاملة ... من أهل جنتنا حوراً وولدانا
يا نخلةً أهلها يرجون غلَّتها ... ونرتجى ظلها الزاهى ليرعانا
قولى بربك هل مازلت قائمةً ... ولم يزل ظلك الفينان فينانا
يا نخلةً قد سقيناها بأنفسنا ... إذ نستقى فى حماها اللهو ألوانا

هل صنتِ سرى وعهدى بعد أن فضحت
سرى الليالى وخان العهد من خانا
من مسَّ جذعكِ بعدى جذَّ ساعده
أو نال سعفك يوماً نال أحزانا
لا طاب تمرك بعد اليوم من ثمر ... ولا أفاتِ بظل منك انسانا
حتى ترد لنا الأيام غربتنا ... وترجع العيش صفواً مثل ما كانا!

بغداد

فتى شط العرب